الوحدة الموضوعية في سورة الشمس

إعداد

د. عبدالله بن سالم بن يسلم بافرج

أستاذ مساعد / كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

مركز الدراسات الإسلامية

الوحدة الموضوعية في سورة الشمس

ملخص البحث:

الحمد لله رب العالمين،والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين وبعد :

فهذا بحث بعنوان " الوحدة الموضوعية في سورة الشمس"، ويشتمل البحث على: مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهارس.

وكان في المبحث الأول: اسم السورة، وفضلها، وعدد آياتها، وتاريخ نزولها، وخصائصها، والجو العام الذي نزلت فيه السورة.،وفي المبحث الثاني: مناسبات السورة الكريمة، والموضوع الكلي فيها.وفي المبحث الثالث: مقصد السورة وهدفها.وفي المبحث الرابع: تفسير آيات السورة في ضوء وحدتها الموضوعية

وهدف البحث ما يلي:

١. ذكر نموذج للوحدة الموضوعية في السورة القرآنية، وذلك من خلال دراسة سورة الشمس، إذ أن هذا لون من ألوان إعجاز القرآن الكريم، وسر من أسراره، ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ {النساء ٨٢}.

٢. الوقوف على أسلوب من أساليب القرآن الكريم في تزكية النفوس، وذلك من خلال توجيه النظر في الآيات الكونية، ودراسة قصة قوم ثمود، وما نزل بهم، عندما لم يزكو أنفسهم، كما جاء ذكرهم في سورة الشمس.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين ،،،

In the Name of God, the All-Compassionate and Merciful
Thematic Coherence and Unity in Chapter ٩١ of the Quran Ash-Shams 'The Sun'

Dr. Abdullah Salem Yeslam Ba-Faraj

Abstract:

This research consists of an introduction and two units. The topic person

All praises and thanks are due to Allah the Lord of the Worlds. May the peace and blessings of Allah be ever upon our Prophet Muhammad and all his progeny and companions. To proceed:

This is a research paper entitled "Thematic Coherence and Unity in Chapter ٩١ of the Quran Ash-Shams 'The Sun'" which consists of an introduction, four main sections, a conclusion and bibliographies. The first section of the paper discusses the name of the Surah (chapter), its virtues and attributes, the number of its quranic verses, its characteristics, the date of its revelation, and the general atmosphere in which it was revealed. The second section of the paper outlines the occasions of the chapter and its general theme. The third section highlights the aims and purposes of the Surah (chapter). Section four provides exegesis of the Chapter's quranic verses in the light of its thematic coherence and unity.

The paper aims at:

١- Providing an example of thematic coherence and unity in the different chapters of the Holy Quran through the study of Chapter ٩١ Ash-Shams 'The Sun'. This definitely points out to the miraculous inimitability of the holy Quran literary style and one of the many secrets of its unsurpassed style. [Will they not, then, reflect on the meaning of the Quran? If it had been from other than God, they would, most surely, have found in it much discrepancy] Surah ٤ An-Nisa' Women verse ٨٢.

٢- Uncovering one of the styles of the Holy Quran in its quest for the purification of the human soul from sins through pondering and dwelling upon signs of the open universe and through the study of the story of Thamud People and what befell them when they did not purge their souls from sins as mentioned in Chapter ٩١ Ash-Shams 'The Sun'.

Allah alone knows the best. May the peace and blessings of Allah be ever upon our Prophet Muhammad and all his progeny and companions.

All praises and thanks are due to Allah the Lord of the Worlds.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة :

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء ١}﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾{ الأحزاب ٧٠-٧١}﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ { الحشر ١٨}[1] .

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، ألا وإن من الأمور التي ينبغي على طالب العلم الاعتناء بها الوقوف على أساليب القرآن الكريم في تزكية النفوس، وتطهيرها من أدران الكفر والمعاصي؛ وذلك لعدة أسباب منها:

أ- الاشتغال بتدبر كتاب الله، واستخراج العبر، والفوائد والأحكام منه، إذ من مقاصد إنزال القرآن الكريم تدبره ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ { ص ٢٩}.

ب- الوقوف على وسائل ناجحة من وسائل الدعوة إلى الله استخدمها القرآن الكريم في تزكية النفوس، و وصلها بالله تعالى، والوقوف عند حدوده تعالى.

وبعد استخارة الله تعالى، واستشارة أهل العلم في الكتابة حول هذا الموضوع، عزمت الهمة واجتهدت طالبًا العون والسداد من الله العلي القدير، فكتبت هذا البحث وأسميته " الوحدة الموضوعية في سورة الشمس " .

سبب اختيار الموضوع :

أن بيان الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية، موضوع جديد في بابه، فأحببت أن أكتب فيه.

أهمية هذا البحث:

١. إن دراسة مثل هذا الموضوع، والخوض فيه يعطي دليلاً على أن القرآن الكريم يصلح لكل زمان و مكان، و ذلك لتعرضه إلى مواضيع تناسب كل عصر وتواكبه.

٢. الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية وسيلة منهجية تعمل على رفع مستوى التفكير العلمي والموضوعي عند الباحثين .

٣. الوقوف على أسلوب من أساليب القرآن الكريم في تزكية النفوس.

٤. الرد على المستشرقين وأعداء الدين الطاعنين في القرآن الكريم، القائلين بتنافره، وعدم ترابطه، وإنه من تأليف البشر .

أهداف البحث:

١. ذكر نموذج للوحدة الموضوعية في السورة القرآنية؛ وذلك من خلال دراسة سورة الشمس.

٢. الوقوف على أسلوب من أساليب القرآن الكريم في تزكية النفوس .

الدراسات السابقة :

درست هذه السورة في موسوعة التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، والذي أعده نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، بإشراف الأستاذ الدكتور

مصطفى مسلم، في كلية الدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة الشارقة.والبحث وإن كان قد استفاد من الموسوعة إلا أنه يختلف عنها في منهجية عرض الموضوع، وأضاف بعض الإضافات التي تثري الموضوع كذكر خصائص السورة ، ومناسبة السورة لما بعدها.

خطة البحث :

هذا وقد تكون البحث من مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهارس وفق الترتيب الآتي:

المقدمة: فيها سبب اختيار الموضوع، وأهميته، وهدفه، والدراسات السابقة، وخطة البحث ومنهجه.

المبحث الأول: اسم السورة، وفضلها، وعدد آياتها، وتاريخ نزولها، وخصائصها، والجو العام الذي نزلت فيه السورة.

المبحث الثاني: مناسبات السورة الكريمة، والموضوع الكلي فيها.

المبحث الثالث: مقصد السورة وهدفها.

المبحث الرابع: تفسير آيات السورة في ضوء وحدتها الموضوعية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول:المقطع الأول:من الآية ١ إلى الآية ١٠.

المطلب الثاني:المقطع الثاني:من الآية١١ إلى آخر السورة الكريمة.

الخاتمة : وفيها أهم النتائج .

فهرس المصادر والمراجع.

منهج البحث:

١. عزوت الآيات القرآنية إلى سورها، وخرجت الأحاديث التي ورد ذكرها، وذكرت أقوال أهل العلم في بيان درجتها.

٢. وثقت النصوص التي أنقلها، توثيقًا علميًا دقيقًا من مصادرها الأصلية، ما أمكنني ذلك.

٣. عند الإحالة إلى صفحة النص المنقول فإن الإحالة تكون للصفحة التي فيها بدايته.

٤. المعول عليه في معرفة طبعات المصادر والمراجع هو الفهرس الخاص، بذلك في آخر البحث، وقد التزمت طبعة واحدة لكل كتاب.

٥. ضبطت بالشكل ما يحتاج إلى ضبط، مما قد يُشكل قراءته، ويلتبس نطقه.

٦. ذيلت البحث بفهارس للمصادر والمراجع، والموضوعات.

وفي الختام أسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون موافقاً للصواب.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

اسم السورة، وفضلها، وعدد آياتها، وتاريخ نزولها، وخصائصها والجو العام الذي نزلت فيه السورة

اسم السورة الكريمة وما اشتهر لها من أسماء:

سميت السورة بعدة أسماء منها:

أ- جاء تسميتها بأول آية منها ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴾{ الشمس ١ }كما في حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ رضي الله عنه:"هلا صليت بـ ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴾{ الأعلى ١ } ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴾ { الشمس ١ }﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴾{ الليل ١ } "[٢]. وقال الإمام عبد الرزاق رحمه الله في تفسيره[٣] سورة ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴾ وقال الإمام البخاري رحمه الله في صحيحة في كتاب التفسير[٤] سورة ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴾ .

وهذا أولى أسمائها لئلا تلتبس بسورة ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴾{ التكوير ١ } المسماة بسورة التكوير.

ب- جاء تسميتها بسورة ﴿ وَٱلشَّمۡسِ ﴾ بإثبات حرف الواو[٥].

ج- جاء تسميتها بسورة ﴿ **الشمس** ﴾ بدون حرف الواو وهذا الاسم هو الموجود في المصحف وعامة كتب التفسير [٦].

ما ورد في فضل سورة الشمس من أحاديث :

١. صلى بها النبي صلى الله عليه وسلم فعن بريدة رضي الله عنه" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة العشاء ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴾ وأشباهها من السور"[٧].

٢. أمر النبي صلى الله عليه وسلم من أراد أن يؤم الناس أن يقرأ بها فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ رضي الله عنه :

" هـلا صـليت بـ ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾{ الأعلى ١ }﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴾{ الشمس ١ }﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾{ الليل ١ }"[٨].

٣. دعاء النبي صلى الله عليه وسلم عند قرأته لقوله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾{ الشمس ٧ – ٨} فعن ابن عباس رضي الله عنه قال :كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تلا هذه الآية ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ وقف ثم قال: "اللهم آت نفسي تقواها أنت وليها ومولاها وخير من زكاها"[٩] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ قال"اللهم آت نفسي تقواها و زكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها " قال : وهو في الصلاة[١٠].

عدد آيات السورة واختلاف العلماء في ذلك :

عدد آياتها خمس عشرة آية في عد جمهور الأمصار، وعدها أهل مكة ست عشرة آية[١١]،وكلمها أربع وخمسون كلمة، وحروفها مئتان وستة وأربعون حرفاً[١٢]، وهي مكية بالاتفاق[١٣].

تاريخ نزول السورة الكريمة:

سورة الشمس هي السورة الحادية والتسعون، حسب ترتيب المصحف، بعد سورة البلد وقبل سورة الليل ، وذكر العلماء أن نزولها كان بعد سورة القدر، وقبل سورة البروج[١٤] ، وهي إحدى السور التي ابتدأت بالقسم[١٥] .

خصائص سورة الشمس:

١. بدأت السورة بالقسم وفيه ما يلي:

أ- انفردت السورة بأحد عشر قسماً وهي: الأقسام بالشمس، وبضحاها، وبالقمر، وبالنهار، وبالليل، وبالسماء، والذي بناها، وبالأرض، وبالذي دحاها، وبالنفس، وبالذي سواها، ولم يقع هذا في أي سورة أُخرى والله أعلم .

ب- الآيات الأربع الأول الأقسام فيها بالشمس في الحقيقة؛ لأن بوجودها يكون النهار، ويشتد الضحى، وبغروبها يكون الليل، ويتبعها القمر[١٦] .

ج- القسم بأشياء معظمة، وذكر الله تعالى من أحوالها ما هو دليل على بديع صنع الله تعالى، واستحقاقه للعبادة دون من سواه.

د- جواب القسم في قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾{الشمس ٩ – ١٠} و بدأ الجواب بحرف ﴿ قَدْ ﴾ الذي يفيد التحقيق؛ لوقوعه على الفعل الماضي ﴿ أَفْلَحَ ﴾ و ﴿ خَابَ ﴾ والمعني لقد أفلح ، ولقد خاب[١٧].

٢. ذكر قصة ثمود على وجه الإجمال، وبيان ما آل إليه حالهم حين لم يزكو أنفسهم، وعصوا أمر رسولهم، وقتلوا الناقة؛ فاستحقوا نزول العذاب بهم على السوية، وخصهم بالذكر لما يلي :

أ- لأنهم أخف ذنباً، وعذاباً من غيرهم من الأمم المكذبة، قال ابن تيمية رحمه الله:(من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى، فإنه لم يكن في الأمم المكذبة أخف ذنباً، وعذاباً منهم، إذ لم يذكر عنهم من الذنوب ما ذكر عن عاد، ومدين، وقوم لوط، وغيرهم) [١٨].

ب- وضوح الآية لهم، ومع ذلك لم يؤمنوا بها، قال ابن القيم رحمه الله:(لأنهم ردوا الهدى بعدما تيقنوه، وكانوا مستبصرين، قد ثلجت له صدورهم، واستيقظت له أنفسهم، فاختاروا عليه العمى، والضلالة، كما قال تعالى في وصفهم:﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾{ فصلت ١٧}، وقال: ﴿ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً ﴾{ الإسراء ٥٩})[١٩].

الجو العام الذي نزلت فيه سورة الشمس:

نزلت السورة الكريمة في العهد المكي، الذي كان يعج بأعمال لا يرضاها الله تعالى، من عبادة الأصنام، وتقطيع الأرحام، ووأدِ البنات، والزنا، وشرب الخمور، وأكل أموال الناس بالباطل، وغيرها من أعمال تبعد العبد عن الله تعالى، فكانت هذه السورة داعية إلى ترك ما كان عليه الناس، مما يغضب الله تعالى، وابتدأت بأحد عشر قسماً وهي:القسم بالشمس، وبضحاها، وبالقمر، وبالنهار، وبالليل، وبالسماء، والذي بناها، وبالأرض، وبالذي دحاها، وبالنفس، وبالذي سواها، مما يبين عظمة ما كان عليه الناس من بعد عن الله تعالى، وعظمة الأمر الذي دعوا إليه .

المبحث الثاني
مناسبات السورة الكريمة والموضوع الكلي فيها

أ- مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها:

١) المناسبة بين سورة البلد وسورة الشمس :

لما تقدم ذكر القسم ببعض المواضع الشريفة، وما بعدها أقسم هنا بشيء من العالم العلوي والعالم السفلي[٢٠] .

ولما ذكر سبحانه وتعالى في سورة البلد تبيينه للإنسان طريقي الخير والشر في قوله تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾{ البلد ١٠} ،وختمت بذكر أعمال أصحاب الميمنة، وأعمال أصحاب المشأمة، وجزائهم، بين في هذه السورة أن من زكى نفسه بطاعة الله، وطهرها من الأخلاق الدنيئة، والرذائل، فقد أفلح، وسعد في دنياه وأخراه، وأن من أخمل نفسه، ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى ففعل المعاصي، وترك طاعة الله فقد خسر، وخاب في دنياه وأخراه .

٢) المناسبة بين سورة الشمس وسورة الليل :

لما ذكر سبحانه في سورة الشمس فلاح من زكى نفسه، و خيبة من وضع نفسه؛ بفعل المعاصي، وترك طاعة الله، وأوضح في آخرها إهلاكه تعالى لقوم ثمود؛ لما عصوا أمر الله، وخالفوا رسولهم، فعلم أن الناس مختلفون في السعي، فمنهم من يسعى لفلاح نفسه، ومنهم من يسعى لهلاكها، ذكر سبحانه في سورة الليل من الأوصاف ما يحصل به الفلاح، وما يحصل به الخيبة، ففيها نوع تفصيل والله أعلم[٢١].

ب- مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها :

بدئت السورة الكريمة بأقسام تبين عظمة الله تعالى، وبديع صنعه في الشمس، والقمر، والنهار، والليل، والسماء، والأرض، والنفس الإنسانية، فكلها تدل على كمال الله تعالى، وقدرته، ثم جاء جواب القسم الذي يبين تبعة الإنسان فيما

يعمل من صالحات، فيزكي نفسه، وما يعمل من سيئات، فيدسي نفسه، ثم جاءت خاتمة السورة ذاكرةً مثالاً ونموذجاً من الخيبة التي تصيب الإنسان عندما لا يزكي نفسه، فيدعها للفجور، ولا يلزمها تقواها، وبهذا يتضح لنا أهمية أن يزكي الإنسان نفسه، بفعل ما أمره الله تعالى به، وترك ما نهاه عنه، إذ أنه مسؤل مسؤولية تامة عن كل عمل يعمله[٢٢].

ج- مناسبة اسم السورة لموضوعها :

اسم السورة الشمس، وابتدأت السورة بالقسم بالشمس؛ وذلك والله أعلم لأمرين:

١. للتنويه بالإسلام، إذ أن هدية كنور الشمس لا يترك للضلال مسلكاً.
٢. الوعد بانتشار الإسلام في العالم كانتشار نور الشمس في الأفق[٢٣].

وفي هذا حث للعباد على سلوك طريق الخير، الذي هو الإسلام، وبه يكون تزكية النفوس.

د- الموضوع الكلي في السورة الكريمة :

لكل سورة من القران الكريم موضوع أساسي تعالجه، وتقرره، وينطبق هذا الأمر والله أعلم على سورة الشمس، فموضوعها الأساسي هو الدعوة إلى تزكية النفس، وتطهيرها من الشرك، و الكفر، والمعاصي، و البعد بها عن كل ما يسخط الله تعالى، وقد عرض هذا الأمر من خلال القسم، وجوابه في أول السورة، ومن خلال ذكر قصة ثمود، التي يتجلى من خلالها أهمية ذلك الأمر .

المبحث الثالث

مقصد السورة وهدفها

أعظم مقصد، وأوضح هدف للسورة الكريمة، والعلم عند الله تعالى، هو الدعوة إلى تزكية النفس، وتطهيرها من الشرك، والكفر، والمعاصي، فالنفس خلقها الله تعالى سويّة مستقيمة على الفطرة[٢٤]،كما قال الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ { الـــروم٣٠} ، وبين الله تعالى لها طريق الخير، وطريق الشر، كما قال تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ { البلـد ١٠}،وكمـا قـال تعـالى:﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ { الإنسان ٣} ،وجعل في هذه النفس استعدادات متساوية للخير والشر ، والهدى والضلال ، وقدرة على تمييز ما هو خير وما هو شر ، وقدرة على التوجه للخير أو التوجه للشر ،كما قال تعالى: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾{ الشمس ٨}،وكما قال تعالى:﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾{ البلد ١٠} ،وبين الله تعالى للإنسان أن عليه تبعة ما يفعل من خير أو شر،كما قال تعالى:﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾{ الشمس ٩– ١٠} ،وهذا مما يدفعه إلى تزكية نفسه، بإتباع أمر الله تعالى، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، وترك مخالفة أمر الله تعالى، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم .

وقد عرض هذا المقصد العظيم من خلال مقطعين:

الأول:القسم وجوابه الذي بين حقيقة النفس الإنسانية، ودور الإنسان في توجيهها إلى الخير أو الشر، والهدى أو الضلال.

الثاني:مثالٌ لمن دسى نفسه، ممثلاً في طغيان ثمود الذين عقروا الناقة، فأهلكهم الله، ودمرهم[٢٥].

وكل من هذين المقطعين وثيق الصلة بالآخر، مما يشكل وحدة واحدة في هذه السورة الكريمة.

المبحث الرابع

تفسير آيات السورة في ضوء وحدتها الموضوعية

المطلب الأول

المقطع الأول: القسم وجوابه: من الآية ١ إلى الآية ١٠

﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ { الشمس ١– ١٠}.

المعني الإجمالي للآيات :

يقسم الله تعالى في هذه الآيات بمخلوقات، ومشاهدات كونية محسوسة، وغير محسوسة، وفي هذا القسم دليل على عظمة الله تعالى، وعظمة صنعه، وقدرته الدالة عليه تعالى، وعلى وجوده، ووجوب ذاته، وكمال صفاته، الذي هو أقصى درجات القوة النظرية، ويذكرهم عظائم آلائه؛ ليحملهم على القيام بشكر نعمائه، الذي هو منتهى كمالات القوة العملية، ومن شأن هذا القسم أن يجعل لهذه المخلوقات قيمة كبرى، وأن يوجه إليها القلوب تتأملها، وتتدبر ماذا لها من قيمة، وماذا بها من دلالة، حتى استحقت أن يقسم بها الله الجليل[٢٦].

فقال تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴾ أقسم تعالى بالشمس، ونهارها لأن ضوء الشمس الظاهر هو النهار[٢٧].

ومن تأمل قليلاً في عظمة الشمس، وما فيها من آيات، ثم تبصر فيها قاده ذلك إلى معرفة عظمة خالقها، واستحقاقه للعبادة دون من سواه، فسبحانه ما أعظم شأنه.

فالله تعالى جعل في طلوع الشمس، وغروبها، وارتفاعها، وانحطاطها،وحركتها، آيات ومنافع كثيرة عظيمة، فمن منافع شروقها ذهاب الناس لمعاشهم،وقضائهم لمصالحهم، ومن منافع وغروبها هدوء الناس ، وقرارهم، وسد

احتياجهم في ذلك لتحصيل الراحة، وانبعاث القوة الهاضمة، وتنفيذ الغذاء إلى الأعضاء، كما قال الله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًا ﴾ {يونس: ٦٧} ، وأيضاً من منافع غروبها أنه لولا الغروب لكان الحرص يحمل الناس على المداومة على العمل كما قال الله تعالى:﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ۝١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ﴾ {النبأ: ١٠ - ١١} ،ومن المنافع أنه لولا الغروب لكانت الأرض تحمى بشروق الشمس عليها حتى يحترق كل ما عليها من حيوان، ويهلك ما عليها من نبات، كما قال الله تعالى:﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا ﴾ {الفرقان: ٤٥}فصارت الشمس بحكمة الله سبحانه وتعالى تطلع في وقت، وتغيب في وقت، بمنزلة سراج يدفع لأهل بيت بمقدار حاجتهم، ثم يرفع عنهم ليستقروا، ويستريحوا، فصار النور والظلمة ـ على تضادهما ـ متعاونين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم، هذا كله في طلوع الشمس وغروبها. أما ارتفاع الشمس، وانحطاطها فقد جعله الله تعالى سبباً لإقامة الفصول الأربعة، ففي الشتاء تغور الحرارة في الشجر، والنبات، فيتولد منه مواد الثمار، ويلطف الهواء، ويكثر السحاب، والمطر، وفي الربيع تتحرك الطبائع، وتظهر المواد المتولدة في الشتاء فيطلع النبات، وينور الشجر، وفي الصيف يحتدم الهواء فتنضج الثمار، وتنحل فضول الأبدان، ويجف وجه الأرض، ويتهيأ للبناء، والعمارات، وفي الخريف يظهر اليبس، والبرد، فتنتقل الأبدان قليلاً قليلاً إلى الشتاء، فإنه إن وقع الانتقال دفعة واحدة هلكت الأبدان وفسدت. وأما حركة الشمس فتأمل في منافعها فإنها لو كانت واقفة في موضع واحد لاشتدت السخونة في ذلك الموضع، واشتد البرد في سائر المواضع، لكنها تطلع في أول النهار من المشرق، فتقع على ما يحاذيها من وجه المغرب، ثم لا تزال تدور، وتغشى جهة بعد جهة، حتى تنتهي إلى الغروب، فتشرق على الجوانب الشرقية، فلا يبقى موضع مكشوف إلا ويأخذ حظاً من شعاع الشمس. وأما من منافع ميلها في حركتها عن خط الاستواء، فإنه لو لم يكن للكواكب حركة في الميل لكان التأثير مخصوصاً ببقعة واحدة، فكان سائر الجوانب يخلو عن المنافع الحاصلة منه إلى غير ذلك من المصالح والمنافع [٢٨].

﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴾ وأقسم بالقمر، إذا تبع الشمس في المنازل والنور. والله سبحانه وتعالى جعل في طلوع القمر وغيبته مصلحة، وجعل طلوعه في وقت مصلحة، وغروبه في وقت آخر مصلحة أخرى.[٢٩]

وقيل:إن معنى ﴿تَلَىٰهَا﴾ هو من التلو، وهو أن القمر يأخذ الضوء من الشمس، يقال: فلان يتبع فلاناً في كذا، أي يأخذ منه.[٣٠]' وقيل:أنه يتلوها في كبر الجرم بحسب الحس، وفي ارتباط مصالح هذا العالم بحركته، ولقد ظهر في علم النجوم أن بين الشمس والقمر من المناسبة ما ليس بين الشمس وبين غيرها.[٣١]

﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴾ الضمير المؤنث في قوله: ﴿ جَلَّىٰهَا ﴾ ظاهره أنه عائد إلى الشمس، فمعنى تجلية النهار الشمس وقت ظهور الشمس،وقيل:الضمير عائد إلى الأرض، أي جلَّى ما على وجه الأرض، وأوضحه، وقيد القسم بوقت التجلية إدماجاً للمِنّة في القسم[٣٢]﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴾ أي يغشى وجه الأرض، فيكون ما عليها مظلماً، وفي هذا تذكير بالعبرة بحدوث حالة الظلمة بعد حالة النور، فتعاقب الظلمة والضياء، والشمس والقمر على هذا العالم بانتظام، وإتقان، وقيام لمصالح العباد أكبر دليل على أن الله بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه المعبود وحده الذي كل معبود سواه باطل[٣٣].

وعبر بقوله:﴿ يَغْشَىٰهَا ﴾ ولم يعبر بالماضي كما في النهار؛ لأن الليل لا يُذهب الضياء بمرة، بل شيئاً فشيئاً، ولا ينفك عن نور، بخلاف النهار فإنه إذا أبدى الشمس، ولم يكن غيم ولا كدر جلّى الشمس في آن واحد فلم يبق معه ظلام بوجه[٣٤].

والضمائر في قوله: ﴿ وَضُحَىٰهَا ﴾و﴿تَلَىٰهَا﴾ و﴿جَلَّىٰهَا﴾و﴿ يَغْشَىٰهَا ﴾ عائدة إلى الشمس، قال ابن تيمية رحمه الله:(وضمائر التأنيث في ﴿جَلَّىٰهَا﴾ و ﴿ يَغْشَىٰهَا ﴾ لم يتقدم ما يعود عليه إلا الشمس، فيقتضي أن النهار يجلّي الشمس، وأن الليل يغشاها، والتجلية الكشف والإظهار، والغشيان التغطية واللبس، ومعلوم أن الليل والنهار ظرفا زمان، والفعل إذا أضيف إلى الزمان فقيل: هذا الزمان، أو هذا اليوم

يبرد أو يبرد أو ينبت الأرض، ونحو ذلك، فالمقصود أن ذلك يكون فيه، كما يوصف الزمان بأنه عصيب، وشديد، ونحس، وبارد، ومكروه، والمراد وصف ما فيه فكون الشيء فاعلاً وموصوفاً هو بحسب ما يليق به كل بحسبه، فالنهار يجلّي الشمس، والليل يغشاها، وإن كان ظهور الشمس هو سبب النهار ومغيبها هو سبب الليل)[٣٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴾ يحتمل أن ﴿ مَا ﴾ موصولة، فيكون الأقسام بالسماء، وبانيها وهو الله تعالى، ويحتمل أنها مصدرية فيكون الأقسام بالسماء، وبنيانها الذي هو غاية ما يقدر من الأحكام، و الإتقان، والإحسان وكلا القولين متلازم[٣٦].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾ أي مدها، ووسعها فتمكن الخلق حينئذ من الانتفاع بها بجميع أوجه الانتفاع.

وقوله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ ، ﴿ وَنَفْسٍ ﴾ القسم بنفس الإنسان المكلف، بدليل ما يأتي بعده، والنفس آية كبيرة من آيات الله تعالى التي يحق الأقسام بها؛ فإنها في غاية اللطف سريعة التنقل، والحركة، والتغير، والتأثر، والانفعالات النفسية من الهمّ، والإرادة، والقصد، والحب، والبغض، وهي التي لولاها لكان البدن مجرد تمثال لا فائدة فيه، وتسويتها على ما هي عليه آية من آيات الله العظيمة[٣٧].

قوله تعالى: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ أي ألهم الفاجر الفجور، والتقي التقوى، وهذا أليق من القول بأن ألهم هنا بمعنى أرشد؛ لأن الإلهام في اللغة فوق الإرشاد[٣٨] ،والقول إنها بمعنى أرشد وإن كان صحيحاً ثابتاً فبغير هذه الآية، قال ابن تيمية رحمه الله:(لإن الإلهام استعماله مشهور في إلهام القلوب، لا في التبيين الظاهر الذي تقوم به الحجة، وقد علّم النبي صلى الله عليه وسلم حصيناً الخزاعي رضي الله عنه لما أسلم أن يقول:"اللهم ألهمني رشدي، وقني شر نفسي"[٣٩] ولو كان الإلهام بمعنى البيان الظاهر، لكان هذا حاصلاً للمسلم والكافر)[٤٠].

وفي هذه الآية(إثبات للقدر بقوله:﴿ فَأَلْهَمَهَا ﴾ ،وإثبات لفعل العبد بإضافة الفجور والتقوى إلى نفسه، ليعلم أنها هي الفاجرة، والمتقية بين الحسن والقبيح، والأمر والنهي بقوله:﴿ فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾)[٤١].

وقوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ أصل الزكاة النمو والزيادة، ومنه زكا الزرع إذا كثر ريعه، ومنه تزكية القاضي للشاهد؛ لأنه يرفعه بالتعديل، وذكر الجميل[٤٢] والمعنى فاز من طهر نفسه من الذنوب، و نقاها من العيوب، ورقاها بطاعة الله، وعلاها بالعلم النافع والعمل الصالح، و﴿ مَن ﴾ صادقة على الإنسان الذي يزكي نفسه، بأن اختار لها ما به كمالها، ودفع الرذائل عنها[٤٣].

وقوله تعالى:﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ أصل ﴿ دَسَّىٰهَا ﴾ دسّسها من التدسيس، وهو إخفاء الشيء في الشيء، فأبدلت سينه ياء طلباً للتخفيف[٤٤] ، والمعنى خاب من أخفي نفسه الكريمة التي ليست حقيقة بقمعها، و إخفائها بالتدنس بالرذائل، والدنو من العيوب و الذنوب، وترك ما يكملها و ينميها، واستعمال ما يشينها و يُدسيها .

وتكرير ﴿ قَدْ ﴾ لإبراز الاعتناء بتحقيق مضمونه، والإيذان بتعلق القسم به أصالة[٤٥].

وفي الآيتين(إثبات لفعل العبد، والوعد والوعيد بفلاح من زكى نفسه، وخيبة من دسّاها، وهذا صريح في الرد على القدرية المجوسية[٤٦]، وعلى الجبرية[٤٧] للشرع، أو لفعل العبد، وهم المكذبون بالحق.

وأما المظلِّمون للخالق، فإنه قد دل على عدله بقوله:﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾، والتسوية التعديل، فبين أنه عادل في تسوية النفس التي ألهمها فجورها وتقواها)[٤٨].

من لطائف الآيات :

١. أكثر الله تعالى من ذكر الآيات الله الكونية الباهرة في ملكوت السموات والأرض في كتابه الكريم، وقد دعا الله تعالى عباده للتفكر فيهما قال الله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾

{الأعراف ١٨٥} مما يدل على عظم شأنهما، وعلى أن له سبحانه وتعالى فيهما أسرار عظيمة، وحكم بالغة لا تصل إليها أفهام الخلق، ولا عقولهم.

٢. لله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، أما المخلوق فلا يجوز له أن يقسم بغير الخالق سبحانه وتعالى.

٣. في أقسام الله تعالى بأمر ما فإن ذلك دليل على عظمة ذلك الأمر، فكل من الشمس، والقمر، والسماء، والأرض، ونفس الإنسان، من أعظم مخلوقات الله ذاتاً، ومعنى، الدالة على بديع حكمته سبحانه، وقوي قدرته تعالى، وكذلك كل من الضحى، وتلو القمر الشمس، والنهار، والليل، من أدق النظام الذي جعله الله تعالى.

٤. في الأقسام بهذه الأمور توجيه للعباد للنظر، والتفكر، والتدبر فيها، وتوجيه إلى أثرها العظيم المشاهد الملموس الدال على القدرة الباهرة [٤٩].

٥. في قوله تعالى:﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴾ دليل على أن نور القمر مستفاد من نور الشمس، أي من توجه أشعة الشمس إلى ما يقابل الأرض من القمر، وليس نيراً بذاته، وهذا إعجازٌ علمي من إعجاز القران الكريم[٥٠].

٦. بيان حالات النفس الإنسانية بجوانبها السلبية والإيجابية، متمثلة في حالاتها من الفجور والتقوى، وبيان أن طريق اعتدالها، وفلاحها، وفوزها هو بتزكيتها، وتطهيرها، والسمو بها، و أن طريق اضطرابها، وخيبتها، وخسرانها هو بالانسياق وراء الشهوات، والتردي في هاوية الانحراف عن الفطرة السليمة.

٧. في قوله تعالى:﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ بيان للقدر، فعن (أبي الأسود الدؤلي قال:قال عمران بن الحصين:أريت ما يعمل الناس اليوم، ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم، ومضى عليهم من قدر سبق؟ أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم، وتثبت به الحجة عليهم؟ فقلت:بل شيء قضي عليهم، ومضى عليهم، قال:فقال:أفلا يكون ظلماً؟ قال:ففزعت من ذلك فزعاً شديداً، وقلت:كل شيء خلق الله وملك يده، فلا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، فقال:يرحمك الله، إني لم أُرد بما سألتك إلا لأحرز عقلك، إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا:يا رسول الله أريت ما يعمل الناس اليوم، ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم،

ومضى عليهم من قدر سبق؟ أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم، وتثبت به الحجة عليهم؟ فقال:بل شيء قضي عليهم، ومضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ [٥١]،قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:(فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن تصديق ما أخبر به من القضاء والقدر قوله:﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾)[٥٢].

٨. في تقديم الفجور على التقوى في قوله تعالى: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ مراعاة لأحوال المخاطبين زمان نزول هذه السورة الكريمة، وهم المشركون، وأكثر أعمالهم فجور، ولا تقوى لهم، والتقوى صفة أعمال المسلمين، وهم قليل يومئذٍ[٥٣].

٩. في تقديم الفلاح على الخيبة في قوله تعالى:﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ لمناسبته للتقوى في الآية التي قبلها، ولتهيئة السامع للاتعاظ بما حدث لقوم ثمود حينما دسوا أنفسهم بالمعصية[٥٤].

١٠. في قوله تعالى:﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ بيان أن فاعل المعروف، والمبادر إلى أعمال البر شهر نفسه، ورفعها، وكانت أجواد العرب تنزل المرتفع من الأرض ليشتهر مكانها، ويعرفه المارة، وتوقد النار في الليل للطارقين، بخلاف اللئام فإنهم ينزلون الأودية، والكهوف ليخفى مكانهم، ولا يُعرف، فأولئك علّوا أنفسهم، وزكوها، وهؤلاء أخفوا أنفسهم، ودسوها، وكذا الفاجر أبداً خَفِيُ المكان، قليل المروءة، غامض الشخصية، ناكس الرأس بركوب المعاصي [٥٥].

١١. على العبد أن يعمل على تزكية نفسه بفعل الطاعات، والابتعاد عن فعل المحرمات، وأن لا يعجب بعمله، وأن يكون دائم الافتقار إلى الله تعالى، كثير المسائلة له تعالى؛ كما في دعا النبي صلى الله عليه وسلم " اللهم آت نفسي تقواها أنت وليها ومولاها وخير من زكاها "[٥٦] وهذا الدعاء من جوامع الأدعية النبوية (لأن طلب إلهام الرشد يكون به السلامة من كل ضلال، والاستعاذة من شر النفس يكون بها السلامة من غالب معاصي الله سبحانه، فإن أكثرها من جهة النفس الأمارة

بالسوء)[٥٧] وعلى العبد كذلك أن يشكر الله تعالى على ما وفقه إليه من عمل الصالحات، وترك المنهيات .

١٢. ذكر في هذه الآيات أشياء متقابلة متضادة، مثل الشمس والقمر، لاختلاف وقت ظهورها، ومثل الليل والنهار ،والتجلية والغشي، والسماء والأرض، والبناء و الدحو، والفجور والتقوى، والفلاح والخيبة، والتزكية والتدسية، وهذا كله محسنات الطباق[٥٨].

المطلب الثاني

المقطع الثاني

مثالٌ لمن دسى نفسه: من الآية١١ إلى آخر السورة الكريمة

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾{ الشمس ١١ – ١٥} .

بين يدي قصة ثمود المذكورة في سور الشمس :

قبل البدء في بيان المعني الإجمالي للآيات يجدر بنا أن نذكر شيئاً من خصائص القصص القرآني، وهي كثيرة جداً، ومنها على وجه الإجمال:أنها ربانية المصدر، وهي قصص صدق وقعت في يوم من الأيام،وهي معجزة في أسلوبها ، وصلاحيتها لكل زمان ولكل جيل، ويهدف القرآن الكريم من ذكره للقصة الفائدة التي تؤخذ منها والعظة والعبرة؛ ولذلك لا يهتم بذكر اسم صاحب الشخصية، ويختصر في ذكر معناه، أو صفته على قدر ما تطلبه حاجة البيان، ويهدف القرآن الكريم أن يقدم نماذج مختلفة يتعرف من خلالها على سنن الله تعالى في الدعوات، والحضارات، والابتلاء، والاعتبار بالنهايات، وفيها تزكية للنفس الإنسانية،وربطها

بخالقها، وتربي الإنسان، وتعالج المشاكل، والأفكار، والوقائع على ضوء مبادئ الإسلام، وأحكامه الشرعية[٥٩].

المناسبة بين المقطع الأول والثاني :

لما ذكر الله تعالى خيبة من دس نفسه بالكفر والمعاصي، ذكر نموذجاً لقومٍ دسوا أنفسهم ليعتبر بهم من سمع خبرهم[٦٠].

قال ابن تيمية رحمه الله:(ذكر بعد ذلك عقوبة من كذب رسله، وطغى، وأنه لا يخاف عاقبة انتقامه، كما انتقم من إبليس وجنوده،ليبين أن من كذب بهذا أو بهذا فإن الله ينتقم منه، ولا يخاف عاقبة انتقامه، كما انتقم من إبليس وجنوده، وأن تظلّمة من ربه وتسفيهه له إنما يهلك به نفسه ولن يضر الله شيئاً)[٦١].

المعني الإجمالي للآيات :

قوله تعالى:﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴾أي بسبب طغيانها وترفعها عن الحق وعتوها على رسولها فأعقبهم ذلك تكذيباً في قلوبهم بما جاءهم به رسولهم عليه الصلاة والسلام من الهدى واليقين، وفيه تعريض بتنظير مشركي قريش في تكذيبهم بثمود في أن سبب تكذيبهم هو الطغيان والتكبر عن إتباع من لا يرون له فضلاً عليهم﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾{الزخرف ٣١} [٦٢] .

قوله تعالى : ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴾ أي أشقى القبيلة وهو قدار بن سالف، وهو أحيمر ثمود[٦٣] ،انتدب مسرعاً لعقرها حين اتفقوا على ذلك، وأمروه فأتمر لهم، ويحتمل أن أشقى القبيلة قدار بن سالف ومشاركه في عقر الناقة؛ وذلك لأن أفعل التفضيل إذا أضيف إلى معرفة جاز إفراده وإن عنى جمع[٦٤].

وفضل شقاوتهم على من عداهم لمباشرتهم العقر مع اشتراك الكل في الرضا به، ولخبائث غير ذلك يعلمها الله تعالى فيهم، وهي فوق خبائث من عداهم[٦٥].

قوله تعالى : ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ صالح عليه الصلاة والسلام، وعبر بعنوان الرسالة إيذاناً بوجوب طاعته، وبياناً لغاية عتوهم، وتماديهم في الطغيان[٦٦]. ﴿ نَاقَةَ ٱللَّهِ ﴾ أي احذروا عقر ناقة الله التي جعلها لكم آية عظيمة. ﴿ وَسُقْيَٰهَا ﴾ أي ذروها وشربها. ﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾ أي فكذبوا نبيهم صالحاً عليه الصلاة والسلام في تحذيره لهم بقوله: ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ { الأعراف ٧٣} ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ فنحروها، وقتلوها، أي عقر الناقة الأشقى، وأضيف إلى الكل لأنهم رضوا بفعله[٦٧]. ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم ﴾ أي دمر عليهم، وعمهم بعقابه، وحقيقة الدمدمة تضعيف العذاب، وترديده، ويقال: دمّمت على الشيء أي أطبقت عليه، ودمّم عليه القبر: أطبقه، وناقة مدمومة البسها الشحم، فإذا كررت الإطباق قُلتَ: دمدمت، والدمدمة اهلاك باستئصال، ودمدمت الشيء إذا الزقته بالأرض، وطحطحته، ودمدم الله عليهم أي أهلكهم[٦٨] ﴿ بِذَنۢبِهِمْ ﴾ بسبب ذنوبهم وهو الكفر والتكذيب والعقر وأرسل عليهم الصيحة من فوقهم والرجفة من تحتهم فأصبحوا جاثمين على ركبهم لاتجد منهم داعياً ولا مجيباً، وصرح بذكر الذنب مع دلالة الفاء عليه للإنذار بعاقبة الذنب و ليعتبر كل مذنب[٦٩].

﴿ فَسَوَّىٰهَا ﴾ أي فسوى الدمدمة والإهلاك عليهم، وذلك أن الصيحة أهلكتهم فأتت على صغيرهم وكبيرهم، أو فسوى القبيلة في إنزال العذاب بهم صغيرهم وكبيرهم، وضيعهم وشريفهم، ذكرهم وأنثاهم[٧٠]. ﴿ وَلَا يَخَافُ ﴾ أي الله سبحانه وتعالى ﴿ عُقْبَٰهَا ﴾ قال ابن عاشور رحمه الله:(العقبى ما يحصل عقب فعل من الأفعال، من تبعة لفاعله، أو مثوبة، ولما كان المذكور عقاباً، وغلبة، وكان العرف أن المغلوب يكني في نفسه الأخذ بالثأر من غالبة، فلا يهدا له بال حتى يثأر لنفسه، ولذلك يقولون الثأر المنيم أي الذي يزيل النوم عن صاحبه، فكان الذي يغلب غيره يتقي حذراً من أن يتمكن مغلوبه من الثأر، أخبر الله أنه الغالب الذي لا يقدر مغلوبه على أخذ الثأر منه، وهذا كناية عن تمكن الله من عقاب المشركين، وأن تأخير العذاب عنهم إمهال لهم، وليس عن عجز فجملة:﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴾تذييل للكلام وإيذان بالختام، ويجوز أن يكون قوله: ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴾ تتمثيلاً لحالهم في الاستئصال بحال من لم يترك من يثأر له، فيكون المثل كناية عن هلاكهم عن

بكرة أبيهم لم يبق منهم أحد)[٧١]،وعلم من هذا أن الله سبحانه وتعالى يُعلي أولياءه لأنهم على الحق ويُسفل أعداءه لأنهم على الباطل فلا يضل بعد ذلك إلا هالك[٧٢].

من لطائف الآيات :

١. القصص القرآني له تأثير في تزكية النفوس، وربطها بالله تعالى، ومخافته، ومراقبته؛ من أجل ذلك تكرر ذكرها في القرآن الكريم، وهذا أسلوب من أساليب القرآن الكريم في تزكية النفوس.

٢. في قوله تعالى:﴿ بِطَغْوَىٰهَآ ﴾ بيان أن سبب تكذيبهم رسولهم عليه الصلاة والسلام هو الطغيان، والطغيان هو فرط الكبر ومجاوزة الحد في العصيان، وهكذا يكون الطغيان سبباً في نزول عذاب الله تعالى نعوذ بالله من عذابه وأليم عقابه.

٣. في قوله تعالى :﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴾ بيان أن انبعاث أشقاهم لعقر الناقة كان عن إغراء منهم له لأنهم انتدبوه فانتدب مسرعاً.

٤. في قوله تعالى:﴿ أَشۡقَىٰهَا ﴾ بيان لدركات أهل الكفر والمعاصي؛ فمنهم شقي، ومنهم أشقى.

٥. في إضافة الرسول إلى اسم الجلالة، وإضافة الناقة إلى اسم الجلالة، إعلامٌ بشرفهما، ومكانتهما، وبيان ما وصل إليه القوم من عتوٍ وتمادٍ في الطغيان.

٦. في قوله تعالى:﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ اسند فعل العقر للجماعة لأنهم رضوا به، و تمالؤا عليه، فهم لم يأخذوا على يد العاقر بل استحسنوا فعلته، قال قتادة:(بلغنا أنه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم و انثاهم)[٧٣] ولما كانوا راضين، ونادوه، و تعاطى سواءً عهودهم، أو عطاءهم، أو غير ذلك، فعقرها وحده؛ كان هذا باسم الجميع فكانت العقوبة باسم الجميع[٧٤]، وفي هذا إعلامٌ ، وبيانٌ بأهمية النصح ،والتناصح بين المسلمين كما في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا:لو

أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نوذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً"[٧٥].

٧. في قوله تعالى:﴿ بِذَنْبِهِمْ ﴾ إنذارٌ بعاقبة الذنب، فعلى كل مذنب أن يعتبر ويحذر من الذنوب.

٨. بين قوله تعالى: ﴿ فَسَوَّىٰهَا ﴾ وقوله قبله: ﴿ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ محسن الجناس التام.

٩. في قوله تعالى:﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ بيان عظمة قدرة الله تعالى ، وأنه عز وجل متمكن من عقاب المشركين و العصاة، وأن تأخير العذاب عنهم، إمهال لهم وليس عجزاً.

١٠ .الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة لمن زكى نفسه؛ فإن(من اعتبر أحوال العالم قديماً وحديثاً ،وما يعاقب به من يسعى في الأرض بالفساد ،وسفك الدماء بغير حق ،وأقام الفتن، واستهان بحرمات الله، علم أن النجاة في الدنيا والآخرة للذين آمنوا وكانوا يتقون)[٧٦].

الخاتمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد :

ففي نهاية هذا البحث الذي أرجو من الله أن يتقبله مني يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، أجمل أهم ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات وهي:

أولاً : النتائج:

١. إن الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية مظهر من مظاهر إعجاز القرآن الكريم، الذي لا تنقضي معجزاته، وسر من أسراره.وهذه الدراسة نموذج يدلنا على الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية.

٢. سورة الشمس مع قصر آياتها إلا إنها تتضمن معاني وتوجيهات عظيمة، تدعو إلى صلاح الفرد والمجتمع، وتحافظ عليه من الوقوع أسباب سخط الله تعالى.

٣. أكثر الله تعالى من ذكر الآيات الله الكونية الباهرة في ملكوت السموات والأرض في كتابه الكريم، وقد دعا الله تعالى عباده للتفكر فيهما قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ {الأعراف١٨٥}، مما يدل على عظم شأنهما، وعلى أن له سبحانه وتعالى فيهما أسرار عظيمة، وحكم بالغة لا تصل إليها أفهام الخلق، ولا عقولهم.

٤. في آيات السورة إشارة إلى النفس الإنسانية بجوانبها السلبية والإيجابية، متمثلة في حالاتها من الفجور والتقوى، وبيان أن طريق اعتدالها، وفلاحها، وفوزها هو بتزكيتها، وتطهيرها، والسمو بها، و أن طريق اضطرابها، وخيبتها، وخسرانها هو بالانسياق وراء الشهوات، والتردي في هاوية الانحراف عن الفطرة السليمة؛ مما سيكون سبباً إلى استحقاق عذاب الله تعالى؛ مما يدلنا على أهمية ربط الإنسان بالله تعالى إذ به يكون نجاة الفرد والمجتمع وفي هذا وقاية من الانحراف والاضطراب، وصمام أمان للسلوك المعتدل السوي.

٥. على العبد أن يعمل على تزكية نفسه بفعل الطاعات، والابتعاد عن فعل المحرمات، وأن لا يعجب بعمله، وأن يكون دائم الافتقار إلى الله تعالى، كثير المسائلة له تعالى، وله في رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم " اللهم آت نفسي تقواها أنت وليها ومولاها وخير من زكاها "[٧٧] ،وهذا الدعاء من جوامع الأدعية النبوية.

٦. الاستفادة من أساليب القرآن الكريم، كتوجيه النظر إلى الآيات الكونية لتدبرها والتفكر فيها، وذكر قصص الأمم التي أهلكها الله تعالى بسبب ذنوبها؛ لما في ذلك من عظيم الأثر في تزكية النفوس، وربطها بالله تعالى.

ثانياً التوصيات:

١. الاستفادة من الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية في الدعوة إلى الله تعالى، وإبراز هدايات القرآن الكريم؛ إذ من هدايات هذه السورة، ومحورها الأساسي تزكية النفوس، وربطها بالله تعالى.

٢. ينبغي توجيه الدراسات القرآنية لهذا النوع من التفسير الموضوعي؛ لبيان عظمة القرآن الكريم، وللرد على الطاعنين فيه القائلين بتنافر آياته وعدم ارتباط بعضها ببعض.

و الله أسأل أن يكون هذا البحث على خير ما أرجو له من الوفاء بالغرض، والوضوح في القصد، مع علمي بأن بينه وبين الكمال بوناً شاسعاً، غير أنني لم أدخر إليه سعياً، ولم أحتبس دونه وسعاً، ولكنه جهد المقل،فإن كنت قد عجزت،فحسبي أنني لم أخطئ القصد، ولم أبخل بالجهد ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾{ البقرة ٢٨٦}.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الهوامش

(١) هذا جزء من خطبة الحاجة التي رواها ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ، وأخرجها مسلم في صحيحه في كتاب الجمعة ، باب: تخفيف الصلاة والخطبة ٥٩٣/١ رقم (٨٦٨)، وابن ماجه في سننه في كتاب النكاح ، باب:خطبة النكاح ٦١٠/١ رقم (١٨٩٣)، واحمد في المسند ٣٠٢/١ . ورواها كذلك ابن مسعود ﷺ وأخرجها عنه أبو داود في سننه في كتاب النكاح، باب:في خطبة النكاح ٥٩١/٢ رقم (٢١١٨)، وأحمد في المسند ٣٩٢/١، ٣٩٣ ، وينظر: المسند المحقق ١٨٨/٧،رقم (٤١١٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب الأذان، باب: من شكا إمامه إذا طوَل ١٧٣/١رقم (٧٠٥) ومسلم في صحيحه، في كتاب الصلاة، باب: القراءة في العشاء ٣٣٩/١ رقم (١٠٦٨).

(٣) ينظر: تفسير عبدالرزاق ٤٣١/٣.

(٤) ينظر: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن ٨٣/٦.

(٥) ينظر: تفسير السمعاني ٢٣٢/٦.

(٦) ينظر: تفسير ابن أبي زمنين ١٣٧/٥،وتفسير الماوردي ٢٨١/٦ ،وأحكام القرآن لابن العربي ١٩٤١/٤ ،وتفسير القرطبي ٧٢/٢٠ ،وتفسير البحر المحيط ٦٧١/٨ ،وتفسير ابن كثير ٥٥٠/٤ .

(٧) رواه أحمد في المسند ٩٩/٣٨ رقم (٢٢٩٩٤) ،والترمذي في سننه، في كتاب الصلاة، باب: ما جاء في القراءة في صلاة العشاء ١٤٢/٢رقم (٣٠٩)،والنسائي في سننه في كتاب الافتتاح، باب: القراءة في العشاء الآخرة بالشمس وضحاها ٢/ ١٧٢ـ١٧٣رقم (٩٩٩) ،وقوى إسناد الحديث محققو المسند ينظر: المسند المحقق ٩٩/٣٨.

(٨) سبق تخريجه هامش (٢).

(٩) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٨٧/١١ رقم (١١١٩١) ،وقال الهيثمي: إسناده حسن ينظر: مجمع الزوائد١٣٨/٧.

(١٠) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٤٣٦/١٠ ،وابن أبي عاصم في السنة ١٣٩/١ـ ١٤٠ رقم(٣١٩) ،والشهاب في مسنده ٣٣٨/٢ ،وحسنه الألباني في ظلال الجنة قي تخريج السنة ١٤٠/١.

ويشهد لهذين الحديثين ما رواه زيد بن أرقم رضي الله عنه قال:لا أقولكم الإ كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والبخل، والهرم، وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها " رواه مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ٢٠٤١/٣ رقم (٧٠٨١)،وينظر: تفسير الدر المنثور ٤٥٧/١٥.

(١١) ينظر: علل الوقف والإبتداء ١١٣٢/٣ ،وبصائر ذوي التمييز ٥٢٢/١ ،وإتحاف فضلاء البشر ص ٤٤٠.

(١٢) ينظر: البيان في عد آي الفرآن ص ٢٧٥.

(١٣) ينظر: تفسير القرطبي٧٢/٢٠ ،وتفسير زاد المسير ١٣٧/٩ ،وتفسير الدر المنثور ٤٥٤/١٥ ، وتفسير الآلوسي ٤٩٩/٣٠.

(١٤) ينظر: دلائل النبوة للبيهقي ١٤٢/٧.

(١٥) ينظر: الإتقان ١٨٢٨/٥.

(١٦) ينظر: تفسير الخازن٤٣٢/٤.

(١٧) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢٦٧/٣ ،وتفسير القرطبي ٧٦/٣٠ ،وتفسير التحرير والتنوير ٣٧٠/١٢.

(١٨) ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٤٩/١٦.

(١٩) ينظر: التبيان في أقسام القرآن ص ٢٦ ـ ٢٧.

(٢٠) ينظر: تفسير البحر المحيط ٦٧٢/٨ .

(٢١) ينظر: تفسير نظم الدرر ٤٤٥/٨.

(٢٢) ينظر: تفسر في ظلال القرآن ٣٦١٥/٦ .

(٢٣) ينظر: تفسير التحرير والتنوير ٣٦٧/١٢.

(٢٤) ينظر: تفسير ابن كثير ٥٥١/٤ .

(٢٥) ينظر: تفسير في ظلال القرآن ٣٩١٥/٦ .

(٢٦) ينظر: تفسير القرطبي ٧٥/١٠،وتفسير البيضاوي٤٩٦/٥ ،وتفسير في ظلال القرآن ٣٩١٥/٦.

(٢٧) ينظر: تفسير الطبري ٤٣٥/٢٤.

(٢٨) ينظر: تفسير الرازي ٩٩/٢ ،وموسوعة الإعجاز العلمي ص (٤١٦) وما بعدها.

(٢٩) ينظر: تفسير الرازي ١٠٠/٢.

(٣٠) ينظر: معاني القرآن للفراء ٣ /٢٦٦.

(٣١) ينظر: تفسير الرازي١٧٢/٣١.

(٣٢) ينظر: تفسير التحرير والتنوير ٣٦٧/١٢.

(٣٣) ينظر: تفسير السعدي ٤٠٦/٥ .

(٣٤) ينظر: تفسير نظم الدرر ٤٣٨/٨.

(٣٥) ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٢٦/١٦.٢٢٧.

(٣٦) تفسير ابن كثير٥٥١/٤.

(٣٧) ينظر: تفسير السعدي ٤٠٧/٥ .

(٣٨) ينظر: تفسير السمعاني ٢٣٣/٦ ،والتعريفات ٥١/١ ، واللسان (ل هـ م) ٥٥٥/١٢،ومفردات القرآن ص (٧٤٨).

(٣٩) رواه الترمذي في سننه، في كتاب الدعوات، ٥١٩/٥ رقم(٣٤٨٣) وقال الترمذي: (هذا حديث غريب، وقد روي هذا الحديث عن عمران بن حصين من غير هذا الوجه)وقال الشيخ الألباني:ضعف، والبخاري في خلق أفعال العباد ٥٩/٢ كلهما بلفظ "اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي".

(٤٠) ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٤٥/١٦.

(٤١) ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٤٣/١٦.

(٤٢) ينظر: تفسير القرطبي ٧٧/١٠ ،ومفردات القرآن ص (٣٨٠) ،واللسان (ز ك ا) ٣٥٨/١٤.

(٤٣) تفسير التحرير والتنوير ٣٧/١٢ .

(٤٤) ينظر: تفسير القرطبي ٧٧/١٠ وتفسير التحرير والتنوير ٣٧/١٢ ،و معاني القرآن للفراء ٢٦٧/٣،ومفردات القرآن ص (٣١٤).

(٤٥) ينظر: تفسير الآلوسي ٥٠٤/٣٠.

(٤٦) القدرية المجوسية:هم الذين يثبتون خالقين: إله النور ،ويقولون:هو خالق الخير، وإله الظلمة، يقولون:هوخالق الشر، وقالوا: فعل العبد من الطاعات خلق الله، وأما المعاصي فهي من خلق العبد حتى لا ننسبها إلى الله سبحانه وتعالى، وسموا مجوس هذه الأمة تشبيهاً لهم بالمجوس لأنهم يقولون بقولهم في إثبات خالقين، وأول ما ظهر التكذيب بالقدر في البصرة، ودمشق .والذي أظهره في البصرة معبد الجهني، وفي دمشق غيلان الدمشقي.وقد حذر منهم النبي صلى الله عليه وسلم، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "إن مجوس هذه الأمة المكذوبون بأقدار الله . إن مرضوا فلا تعودوهم . وإن ماتوا فلا تشهدوهم . وإن لقيتموهم فلا تسلموا عليهم". رواه ابن ماجة في سننه، في المقدمة، باب:في القدر١/٣٥ رقم (٩٢) وحسنه الشيخ الألباني، دون جملة التسليم. وعن ابن عمر رضي الله عنه:عن النبي صلى الله عليه و سلم قال " القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم ". رواه أبوداود في سننه، في كتاب السنة،باب: القدر ٦٣٤/٢ (٤٦٩١). وقال الشيخ الألباني: حسن. وكان ظهورهم في آخر عهد الصحابة رضي الله عنهم فحذروا منهم ومن مجالستهم كابن عمر، وجابر بن عبدالله،وأبو هريرة،وابن عباس، و أنس،وغيرهم رضي الله عنهم وأضاهم. ينظر: الفرق بين الفرق ص (١٤، ١٥، ١٥٣ وما بعدها) ،وشرح العقيدة الطحاوية ص (٢٧٨ـ ٢٨٥).

(٤٧) الجبرية:إحدى الفرق الكلامية المنحرفة التي تقول بالجبر، بمعنى أن العباد مجبورون على أعمالهم، وأول من قال بهذه المقالة هو الجعد بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان، فالجهمية هم أول من حمل لواء هذه الدعوة، وقد كانت بدعتهم هذه ردة فعل لبدعة القدرية الذين غلوا في نفي القدر. ينظر: الفرق بين الفرق ص (١٥٨ وما بعدها) ،والملل والنحل ص (٤٣، ٨٥) ،وشرح العقيدة الطحاوية ص (٦١، ٨٨، ٢٥٤ وغيرها).

(٤٨) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٤٣/١٦ـ٢٤٤ .

(٤٩) ينظر: تفسير أضواء البيان ٢٣٧/٩.

(٥٠) ينظر: تفسير التحرير والتنوير ٣٦٧/١٢.

(٥١) رواه مسلم في صحيحه ،كتاب القدر، باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه، وأجله، وعمله، وشقاوته، وسعادته ١٦٢/١٦ رقم (٦٩٠٩).

(٥٢) ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٣٢/١٦.

(٥٣) ينظر: تفسير التحرير والتنوير ٣٧٠/١٢ .
(٥٤) ينظر: تفسير التحرير والتنوير ٣٧١/١٢ .
(٥٥) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢٦٧/٣ ،و تفسير القرطبي ٧٧/٢٠ بتصرف .
(٥٦) سبق تخريجه هامش (٩).
(٥٧) ينظر: تحفة الأحوذي ٣٢٠/٩.
(٥٨) ينظر: تفسير ابن عاشور ٣٧١/١٢.
(٥٩) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي ص (٢٠٠).
(٦٠) ينظر: تفسير نظم الدرر٤٤٢/٨ .
(٦١) ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٤٤/١٦.
(٦٢) ينظر: تفسير التحرير والتنوير ١٢/ ٣٧٢ ـ٣٧٣ .
(٦٣) ينظر: تفسير ابن كثير ٥٥٢/٤ .
(٦٤) ينظر: تفسير أبي حيان ٦٧٦/٨ .
(٦٥) ينظر: تفسير الآلوسي ٥٠٦/٣٠.
(٦٦) ينظر: تفسير الآلوسي ٥٠٦/٣٠.
(٦٧) ينظر: تفسير القرطبي ١٠ /٧٩.
(٦٨) ينظر:تفسير القرطبي ١٠ /٧٩ ،واللسان (د م م) ٢٠٩/١٢.
(٦٩) ينظر: تفسير الآلوسي ٥٠٦/٣٠
(٧٠) ينظر: تفسير القرطبي ٧٩/١٠.
(٧١) تفسير التحرير والتنوير ٣٧٥/١٢ .
(٧٢) ينظر: تفسير نظم الدرر ٤٤٤/٨ .
(٧٣) ينظر: تفسير ابن كثير ٥٥٣/٤.
(٧٤) ينظر: تفسير أضواء البيان ٢٥٠/٩.
(٧٥) رواه البخاري في صحيحه ،في كتاب الشركة، باب: هل يقرع في القسمة والاستهام فيه ١١١/٣ رقم (٢٤٩٣).
(٧٦) ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٥٠/١٦ .
(٧٧) سبق تخريجه هامش (٩).

المصادر والمراجع

١. **القرآن الكريم**.

٢. **ابن أبي حاتم** عبدالرحمن بن محمد بن إدريس، تفسير القرآن العظيم، تحقيق:أسعد محمد الطيب،طبعة مكتبة نزار مصطفى الباز ، ١٤٢٤هـ،مكة المكرمة،الطبعة الثالثة.

٣. **ابن أبي زمنين** محمد بن عبدالله ،تفسير القرآن العزيز، تحقيق: عبدالله ابن حسين بن عكاشة ، ومحمد بن مصطفى الكنز،الناشر:الفاروق ، ١٤٢٣هـ،القاهرة،الطبعة الأولى.

٤. **إبن الجوزي** عبد الرحمن بن علي البغدادي ،زاد المسير في علم التفسير ، طبعة المكتب الإسلامي،١٤٠٤هـ،دمشق، بيروت،الطبعة الثالثة.

٥. **ابن العربي** محمد بن عبدالله ،أحكام القرآن، تحقيق:علي محمد البجاوي، دار المعرفة،بدون تاريخ طبع بيروت،بدون رقم طبعة.

٦. **ابن تيميه** أحمد بن عبد الحليم، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية،جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ،المدينة المنورة،بدون رقم طبعة.

٧. **ابن عاشور** محمد الطاهر ،التحرير والتنوير،طبعة مؤسسةالتاريخ، ١٤٢٠هـ، بيروت،الطبعة الأولى.

٨. **ابن قيم الجوزية** محمد بن أبي بكر،التبيان في أقسام القرآن،صححه وعلق علي هوامشه: محمد حامد الفقي،طبعة مطبعة محمد أفندي عبداللطيف حجازي الناشردار المعرفة ،١٣٥٢هـ،بيروت،بدون رقم طبعة.

٩. **ابن منظور** محمد بن مكرم،لسان العرب،طبعة دار صادر،١٤١٧هـ، بيروت،الطبعة السادسة.

١٠. **أحمد** يوسف الحاج ،موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة،طبعة: مكتبة دار ابن حجر ، ١٤٢٤هـ ،دمشق، الطبعة الثانية.
١١. **الإسفرائيني** عبدالقاهر بن طاهر بن محمد،الفَرْق بين الفِرَق،طبعة دار الكتب العلمية،١٤٠٥هـ،بيروت،الطبعة الأولى.
١٢. **الأصفهاني** الراغب،مفردات ألفاظ القرآن،تحقيق:صفوان عدنان الداودي ، طبعة دار القلم والدار الشامية،١٤٢٣هـ،دمشق ،وبيروت،الطبعة الثالثة.
١٣. **الألباني** محمد ناصر الدين،صحيح الجامع الصغير وزياداته،المكتب الإسلامي ، ١٣٨٨هـ،بيروت،الطبعة الأولى.
١٤. **الأندلسي** محمد بن يوسف بن حيان،البحر المحيط،تحقيق الدكتور: عبدالرزاق المهدي، مطبعة دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٣هـ، بيروت، الطبعة الأولى.
١٥. **البخاري** محمد بن إسماعيل،خلق أفعال العباد،طبعة مطبعة النهضة الحديثة،١٣٨٩هـ،بدون رقم طبعة.
١٦. البخاري محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح المسند المختصرمن أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ،والمعروف بصحيح البخاري،أشرف عليه ورقمه وأعد فهارسه الدكتور: بدر الدين جتين أر، طبعة دار سحنون،١٤١٣هـ،تونس،بدون رقم طبعة.
١٧. البغدادي علي بن محمد بن إبراهيم،لباب التأويل في معاني التنزيل المعروف بتفسير الخازن،ضبطه وصححه: عبدالسلام محمد شاهين،طبعة دار الكتب العلمية،١٤٢٥هـ، بيروت،الطبعة الأولى.
١٨. البغدادي محمود أفندي الآلوسي،روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،تحقيق: محمد أحمد الأمد ومحمد عبد السلام السلامي، طبعة دار إحياء التراث العربي،١٤٢١هـ،بيروت،الطبعة الأولى.

١٩. البغوي الحسيين بن مسعود الفراء،تفسير البغوي،تحقيق: عبدالرزاق المهدي،دار إحياء التراث العربي،١٤٢٣هـ،بيروت،الطبعة الثانية.
٢٠. البقاعي إبراهيم بن عمرو،نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزاق غالب المهدي،طبعة دار الكتب العلمية،١٤٢٤هـ،بيروت،الطبعة الثانية.
٢١. **البيضاوي** عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي،تفسير البيضاوي،طبعة دار الفكر،بدون تاريخ طبع،بيروت،بدون رقم طبعة.
٢٢. **البيهقي** أحمد بن الحسين،دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة،وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه الدكتور: عبد المعطي قلعجي،طبعة دار الكتب العلمية،١٤٠٥هـ،بيروت،الطبعة الأولى.
٢٣. الترمذي محمد بن عيسى بن سورة،الجامع المعروف بسنن الترمذي ،أشرف عليه ورقمه وأعد فهارسه الدكتور: بدر الدين جتين أر، طبعة دار سحنون،١٤١٣هـ،تونس،بدون رقم طبعة.
٢٤. الجرجاني علي بن محمد بن علي، التعريفات،تحقيق:إبراهيم الأبياري،طبعة دار الكتاب العربي،١٤٠٥هـ،بيروت،الطبعة الأولى.
٢٥. الداني أبو عمرو عثمان بن سعيد الأموي، البيان في عد آي القرآن، تحقيق:غانم قدوري الحمد،طبعة: مركز المخطوطات والتراث، ١٤١٤هـ ، الكويت،الطبعة الأولى.
٢٦. الدمشقي علي بن علي بن محمد بن أبي العز،شرح العقيدة الطحاوية، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه :بشير محمد عيون، الناشر مكتبة دار البيان، ١٤٠٥هـ، بيروت،الطبعة الأولى.
٢٧. الدمياطي أحمد بن محمد الشهير بالبنأ،إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر،طبعة دار الندوة،بدون تاريخ طبع بيروت،دون رقم طبعة.
٢٨. زغلول محمد السعيد بن بسيوني،موسوعة أطراف الحديث النبوي، طبعة عالم التراث،١٤١٠هـ،بيروت،الطبعة الأولى.

٢٩. السجستاني سليمان بن الأشعث،سنن أبي داود،أشرف عليه ورقمه وأعد فهارسه الدكتور: بدر الدين جتين أر، طبعة دار سحنون ، ١٤١٣هـ ، تونس،بدون رقم طبعة.
٣٠. السعدي عبد الرحمن بن ناصر،تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،حققه وضبطه ونسقه وصححه: محمد زهري النجار،طبعة عالم الكتب،١٤١٤هـ،بيروت،الطبعة الثانية.
٣١. السمعاني منصور بن عبدالجبار، تفسير القرآن،تحقيق: تميم بن ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم،طبعة دار الوطن، ١٤١٨هـ، الرياض، الطبعة الأولى.
٣٢. السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد،الإتقان في علوم القرآن، تحقيق مركز الدراسات القرآنية،طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،١٤٢٦هـ،المدينة المنورة، بدون رقم طبعة.
٣٣. السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد،الدر المنثور في التفسير بالمأثور،تحقيق الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية،١٤٢٤هـ ، القاهرة، الطبعة الأولى.
٣٤. الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار الجكني،أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن مع تتمته للشيخ عطية محمد سالم،طبعة عالم الكتب، بدون تاريخ طبع،بيروت،بدون رقم طبعة.
٣٥. الشهرستاني محمد بن عبدالكريم بن أحمد،الملل والنحل،تحقيق:محمد سيد كيلاني،طبعة دار المعرفة،بدون تاريخ طبع،بيروت، بدون رقم طبعة.
٣٦. الشيباني أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد،كتاب السنة ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة،تحقيق الشيخ:محمد ناصر الدين الألباني، طبعة المكتب الإسلامي،١٤٠٠هـ،بيروت،الطبعة الأولى.

٣٧. الشيباني أحمد بن حنبل،مسند الإمام أحمد،تحقيق مجموعة من الأساتذة بإشراف الشيخ : شعيب الأرنؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ، بيروت،الطبعة الأولى.
٣٨. الصنعاني عبدالرزاق بن همام،تفسير عبدالرزاق،دراسة وتحقيق الدكتور : محمود محمد عبده،طبعة دار الكتب العلمية،١٤١٩هـ،بيروت،الطبعة الأولى.
٣٩. الطبراني سليمان بن أحمد،المعجم الكبير، حققه وخرج أحاديثه: حمدي عبدالمجيد السلفي،طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ـ إحياء التراث الإسلامي ٣١ـ بالعراق طبعة شركة معمل ومطبعة الزهراء الحديثة،بدون تاريخ طبع،العراق،الطبعة الثانية.
٤٠. الطبري محمد بن جرير،جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير الطبري،تحقيق الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر،مطبعة دار هجر،١٤٢٢هـ،الجيزة،الطبعة الأولى.
٤١. عبد الباقي محمد فؤاد،المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم،بدون دار طبع،وسنة نشر،ورقم طبعة.
٤٢. العسقلاني أحمد بن علي بن حجر،فتح الباري شرح صحيح البخاري،طبعة دار الريان للتراث،١٤٠٧هـ،القاهرة،الطبعة الأولى.
٤٣. العمادي الحنفي أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى ،إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المعروف بتفسير أبي السعود،طبعة دار الفكر،بدون تاريخ طبع،بدون رقم طبعة.
٤٤. الفخر الرازي محمد بن عمر بن الحسين،التفسير الكبير المعروف بتفسير الرازي،طبعة دار الكتب العلمية طهران العربي،بدون تاريخ طبع،بيروت،الطبعة الثالثة.
٤٥. الفراء يحي بن زياد، معاني القرآن،تحقيق الدكتور: عبدالفتاح إسماعيل شلبي وعلي النجدي ناصف،طبعة مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، ١٤٢٢هـ،القاهرة،الطبعة الثالثة.

٤٦. الفيروز أبادي محمد بن يعقوب،بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق:محمد على النجار،طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مطابع الأهرام التجارية، قيلوب،١٤٠٦هـ،القاهرة،الطبعة الثالثة.
٤٧. القرشي إسماعيل بن كثير،تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير ابن كثير،قدم له الدكتور: يوسف عبدالرحمن المرعشلي،طبعة دار المعرفة، ١٤٠٧هـ، بيروت،الطبعة الثانية.
٤٨. القرطبي محمد بن أحمد ،الجامع لأحكام القرآن،اعتنى به وصححه: هشام سمير البخاري،طبعة دار عالم الكتب،١٤٢٣هـ،الرياض،بدون رقم طبعة.
٤٩. القزويني محمد بن يزيد بن ماجة،السنن المعروف بسنن ابن ماجة،وقف على طبعه وتحقيق نصوصه وتصحيح وترقيمه وعد كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبدالباقي،طبعة دار سحنون،١٤١٣هـ،تونس،بدون رقم طبعة.
٥٠. القشيري مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم،وقف على طبعه وتحقيق نصوصه وتصحيح وترقيمه وعد كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي،طبعة دار سحنون،١٤١٣هـ،تونس،بدون رقم طبعة.
٥١. القضاعي محمد بن سلامة،مسند الشهاب،تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي،طبعة مؤسسة الرسالة،١٤٠٥هـ،بيروت،الطبعة الأولى.
٥٢. قطب سيد بن إبراهيم، في ظلال القرآن،طبعة دار العلم، ١٤٠٦هـ ، جدة،الطبعة الثانية عشر.
٥٣. الماوردي علي بن محمد بن حبيب،النكت والعيون ،راجعه وعلق عليه: السيد بن عبد المقصود بن عبدالرحيم،طبعة دار الكتب العلمية ومؤسسة الكتب الثقافية،بدون تاريخ طبع،بيروت،بدون رقم طبعة.
٥٤. المباركفوري عبدالرحمن بن عبد الرحيم،تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي،راجع أصوله وصححه: عبدالرحمن محمد عثمان،الناشر المكتبة السلفية،بدون تاريخ طبع،المدينة المنورة،بدون رقم طبعة.

٥٥. مسلم مصطفى،التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم،أعده نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن بإشراف الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم،طبعة كلية الدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة الشارقة،١٤٣١هـ،الشارقة،الطبعة الأولى.
٥٦. مسلم مصطفى،مباحث في التفسير الموضوعي،طبعة دار القلم ،والدار الشامية،١٤٢٨هـ،بيروت،ودمشق ،الطبعة الخامسة.
٥٧. النووي يحيى بن شرف،صحيح مسلم بشرح النووي،طبعة دارالحديث،١٤١٥هـ،القاهرة،الطبعة الأولى.
٥٨. النيسابوري أبو عبدالله الحاكم،المستدرك على الصحيحين،وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي،الناشر:مكتبة المطبوعات الإسلامية،بدون تاريخ طبع،حلب،بدون رقم طبعة.
٥٩. الهيثمي علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،بتحرير الحافظين الجليلين:العراقي وابن حجر،تحقيق حسام الدين القدسي، طبعة مطبعة القدسي،١٤١٤هـ ،مصر،بدون رقم طبعة.